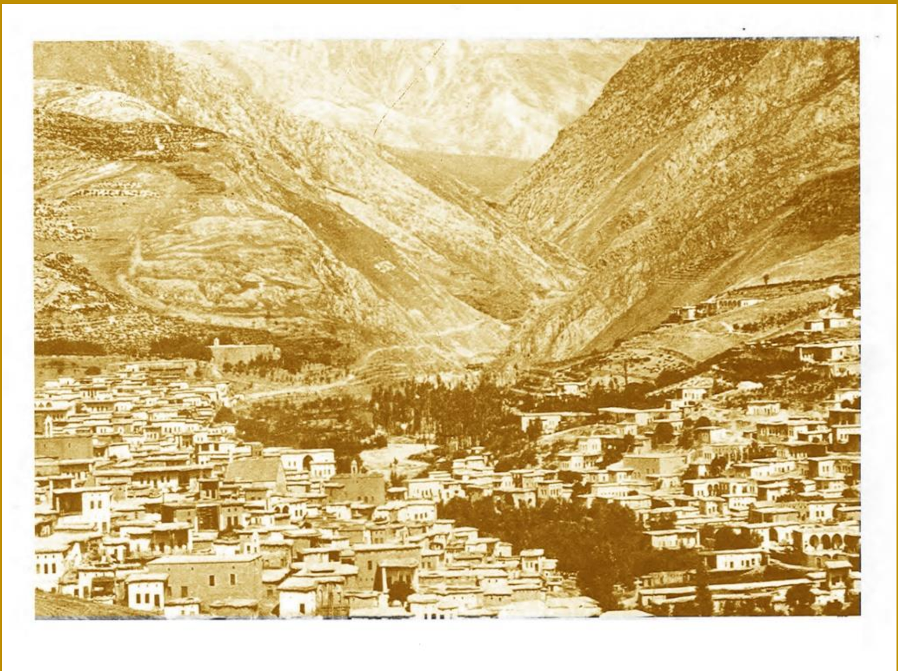
ديزيره سقال

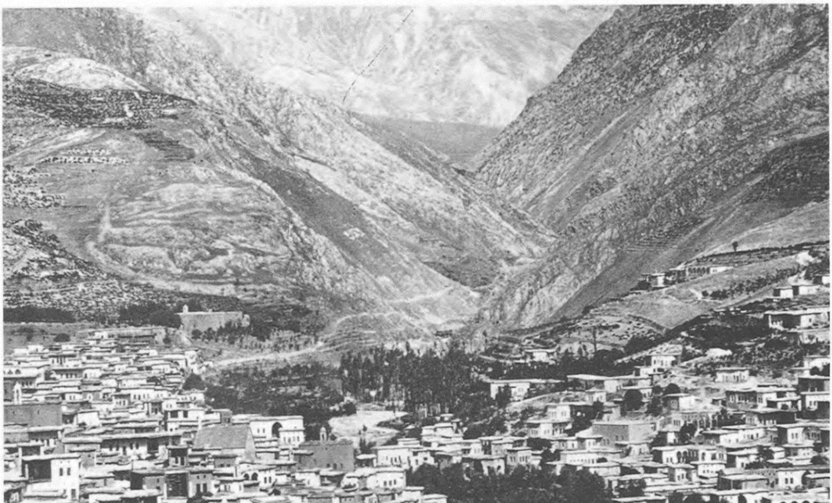
زَحْلِيَّان



٢٠١٢

ديزيره سقال

زَحْلِيَّان



٢٠١٢

قصيدة زحلة

– ١ –

تَدافَعَ النورُ إِثْرَ النورِ مُنسَكِبا،
ولَوَّنَ العِزُّ في جَبْهاتِكِ السُحُبا،

واندَاحَ لَحْنٌ مِنَ الأَجْيالِ تَحمِلُهُ
خَمْرُ القَصائدِ سُكْرًا فيكِ أَوْ طَرَبا...

وتَستفيقُ مَجالي المجدِ في نَعَسٍ
وقدْ تَجَذَّرَ في الآفاقِ وانسَحَبا

وفاحَ منْهُ أَريجٌ، فالدُنى شَمَمٌ،
وقامَةٌ تتحدّى الليلَ والخُطُبا.

نَمَوْتِ في حِضْنِ فرسانٍ يشيلُ بهِمْ
ضَرْبُ السيوفِ، وحُبُّ الموتِ ما رَهُبا...

عَلَّتْ زُنودُهُمُ راياتِ عزَّتِهِمْ،
وقَطَّعَ السيفُ ما راءَى وما كَذِبا!

فما ارتضوا غَيرَ نورِ الحقِّ، أو قبِلوا
ببَيْعِ حَقِّهِمِ مالًا ولا ذَهَبا.

يا زَحْلُ، ما لِلرجالِ الشُمِّ قَدْ دَثَروا،
ولِلإِباءِ الذي رَبَّوْهُ مُحْتَجِبا؟

أينَ الصَناديدُ تَهوى السيفَ مُنْصَلِتًا،
وتركَبُ الهَوْلَ، عندَ الخُطْبِ، والكَرَبا؟

أينَ البَواسِلُ يأتَمُّ الرجالُ بهمْ
تُقَطِّعُ الوحشَ في غَضْباتِها إِرَبا؟

أَينَ الرجالاتُ في لبنانَ نَحمِلُهُمْ،
نَظْراتُهُمْ، وَحْدَها، شَقّوا بها الشُهُبا؟

يا زَحْلُ دَمْعٌ على عينَيكِ يَفضَحُهُمْ
وحُزنُ صوتِكِ مكسورًا ومُنتحِبا:

"أَكُلَّما عَضَّ كَلبٌ رِجلَ سَيِّدِهِ،
أَو خانَ مَعْشَرَهُ، راحُوا لَهُ خَبَبا؟

وباعَهُ الحاكمُ المخصِيُّ جَبهَتَهُ
لِيَسْتَسيغَ الضميرُ العارَ والنَشَبا،

وكُلَّما أَنجَبَتْ آفاقُنا بطَلًا
هاجَتْ قرودٌ، وصاحَ البومُ أَوْ نَعَبا،

وسادَ صَمتٌ على الأمْداءِ، واندفَعَتْ
لُجُّ الوحوشِ إِلى أَقْداسِنا رُكُبا؟

إِنْ كانَ مَنْ مسَخوا الأَبطالَ هُم نَسَبِي،
دونَ الخَوالي، فإِنّي أرفضُ النسَبا!"

– ٢ –

يا زَحْلُ، معذرةً، آتيكِ بَعدَ ضَنًى:
ما زالَ طَعْمُ العُلى في القلبِ مضطرِبا.

آتيكِ يا قبْلةَ السَهلِ التي سَجَدَتْ
لها الشموسُ، وحَلَّى لونُها الهُدُبا،

وبانَ حُسنٌ سَما بالسَهلِ في وَلَهٍ،
فَعانَقَ السهلُ أرضَ اللهِ وٱعتَشَبا؛

فَعَنْ شَمالِكِ "جوبّيتيرُ" ترفعُهُ
بِبَعْلَبَكَّ عواميدُ الضُحى رُتَبا،

وفي جَنوبِكِ خَمْرُ الأرضِ عَصَّرَها
أَبناءُ "باخُسَ"، حين ٱستَسْلَمَتْ، عِنَبا.

ياقوتةُ السَهلِ نامَتْ مِنْ تَدَلُّلِها،
وَصانَ مَدخَلُها "العَذراءَ" والصُلُبا،

وآنداحَ نَهرٌ عَريقٌ تَحْتَ موطئِها
تَرَقرقَ الحُسْنُ في حَدّيهِ مُنْسَرِبا

وراحَ يغسِلُ رِجليها كما غَسَلَتْ
بشَعْرِها مَرْيَمٌ رِجلَ المسيحِ أبا.

فرَشْتِ، يا زَحْلُ، في السهْلِ الذي اتَّسَعَتْ
مواطِئُ الشمسِ فيهِ الحُسْنَ والعَجَبا،

وَٱنداحَ سِحرُكِ في الأمداءِ يَبهُرُها
حتّى ٱنتهى الحُسْنُ في عينيكِ وانسكَبا،

وكانَ أَنَّ ذراعَ الربِّ قد جَمَعَتْ
في بُقعةٍ منْ بقاعِ الأرضِ ما خَلَبا...

– ٣ –

يا مَهبِطَ الوَحْيِ، كمْ أطلَقْتِ منْ نُجُبٍ
في الخافقَينِ، فصانوا الشِعرَ والأدَبا،

وكمْ تَباهَوا بكلِّ الأرضِ أَنَّهُمُ
باتوا بشِعرِهِمِ أَبناءَكِ النُجُبا:

فَها "مَعالِفَةٌ" شادوا صُروحَهُمُ
في كلِّ فَجٍّ، فزانوا الفِكرَ والكُتُبا،

خالوكِ "عَبقرَ" إذْ طارَ الأديمُ بِهِمْ
"بساطَ ريحٍ"، وصارَ السَهلُ مُغترِبا،

وجَذَّروا في ضميرِ الوحْيِ "زَحلَتَهمْ"،
وَأَعْلَنوا ٱلوَحْيَ في الدُنيا لَهُمْ طَلَبا...

وها كَبيرُ كِبارِ الشِعرِ كُلِّهِمِ
"سَعيدُ عَقلُ"، سليلُ المجدِ مُنتَسِبا،

راضَ القوافي فأحْنَتْ رأسَها صَغَرًا،
وَذَوَّبَ العَقْلَ شِعرًا حينَما كَتَبا،

إِزميلُهُ ناحِتٌ فوقَ المِدادِ لَهُ
وَهْجَ الخلودِ على الأَرْضِينَ مُنتَصِبا؛

بِحَرْفِهِ أَنْزَلَ الأشعارَ هادرةً،
وَصَوْتُهُ شَقَّ عُمْقَ الكَونِ والحُجُبا،

فَكانَ أَشْعَرَ مَنْ تاهوا بشِعْرِهِمِ،
وكانَ أَفْصَحَ مِنْ فُصّاحِنا خُطَبا.

يمُدُّ كَفًّا إلى النَجْماتِ يَقطِفُها،
وَيَرْكَبُ الكِبْرَ وَثّابًا إِذا رَكِبا.

وشاءَ يرفَعُ فوقَ العِزّ مَسرَحَهُ
لِيَبْلُغَ العِزُّ أرضَ الغرْبِ والعَرَبا،

فَلَيْسَ يَرْضى بِغَيرِ النجْمِ يقطِفُهُ،
وليسَ يرضى بغَيرِ الكِبْرِ مُصْطَحَبا،

وليسَ يقبَلُ إلّا الصَعْبَ مَطلَبَةً –
مَنْ يَطلُبُ العِزَّ لا يستَكثِرِ التَعَبا!

– ٤ –

هَذاكِ، يا زَحْلُ، شُمٌّ تفخَرينَ بِهِمْ –
لَيْسَ الرجالُ مَنِ ٱقتادُوا الوَرى كَذِبا!

ولا الذينَ تَوَلّوا العرشَ في صَلَفٍ،
وَرقَّعوا عَرْشَهُمْ بالموتِ فانتَحَبا...

نَسَبْتُ نفسي لِمجدِ الشِعرِ دونَهُمُ،
ويكبَرُ المرءُ حَقًّا إِنْ لهُ انتسَبا...

– ٥ –

يا زَحْلُ، عَفوَكِ، إِنَّ القولَ مُلتَهِبٌ،
والنفسَ تَجرَعُ مُرَّ السُمِّ والعَطَبا،

وَلِلْكَلامِ سِياطٌ عَزَّ مَضرَبُها –
ما أضعَفَ الشِعرَ إِنْ لم يُضرِمِ الغضَبا!

قصيدة سعيد عقل

– ١ –

عَمَرْتَ بالشِعرِ بُرْجَ المجدِ فانتصَبا،
والحَرْفُ غَنَّى بأَجْراسٍ بِهَا خَلَبَا،

والشمسُ تَنحَتُ مِنْ أنوارِها لَهَبًا
صارَتْ معَ الوَحْيِ، في نيرانِهِ، ذَهَبا...

وَالأَرْزُ يَنظُرُ مِنْ عَليائِهِ صُعُدًا:
مَنْذا يُزامِلُ فِي عَليائِهِ السُحُبا؟

إِلّا الذي خَطَّ من أَزْمانِهِ مِئَةً،
مِنْ صَفْحَةِ الخُلْدِ، زَانَ الخُلْدُ ما كَتَبا

لِيَنْحَتَ الحرفَ نارًا جَلَّ قائلُها
فَسَطَّرَتْ من لَهيبٍ مُشرقٍ عَجَبَا؟

مَنْذا تَشامَخَ في لبنانَ، وانحدَرَتْ
لهُ رؤوسُ الجبالِ البيضِ فاعتصَبا؟

يا مَنْ قطَفْتَ ضياءَ الشمسِ في شَمَمٍ
لِيَحْفرَ المجْدُ وَهْجَ الحرفِ، والكُتُبا؟

يا مَن هَصَرْتَ غصونَ العِزّ في مئةٍ
لِيطعِمَ الشعرُ منها طِيبَ مَا طلَبا.

النجمُ؟ ما النجمُ في علياءِ طَلَّتِهِ؟
لَشِعْرُكَ النجْمُ عَلّى ضَوءَهُ ورَبا...

سَامٍ كَما الوَحْيِ يَعْلَولي بِهِ نَسَبٌ
وَقَلْبُ لُبْنانَ مِنْهُ سَالَ وَٱنسَكَبا.

كَتَبْتَ لِلْمَجْدِ حتى صِرتَ غُرَّتَهُ،
وَصَارَ مَجْدُكَ مِنْ عَلْيَائِهِ اللَقَبَا؛

كَتَبْتَ للمجدِ في أرضٍ تَحومُ بها
غِرْبانُها في شَماريخٍ غَدَتْ خِرَبا،

تقاسَموا الوطَنَ المجروحَ، واختلفوا
عَلى الغَنائِمِ حِينَ اسْتَعْظَموا السَلَبا.

باعوا جَبينَهُمُ لِلْخِزْيِ يَخفُرُهُمْ
حتى استساغَ الضَميرُ الخِزْيَ والنَشَبا،

وَطَأْطَأوا رَأْسَهُم، فالذُلُّ يَجْمَعُهمْ
رَكْبًا من الذلِّ في خِذلانِهِ طَرِبا،

وَقَسّموا اللهَ أَقْسامًا ملوّنةً
فَارْتَجَّ عُمقُ السَما من تِيهِهمْ غَضَبا...

يا عَقلُ، إن كانَ جَمْعُ العارِ من نَسَبي
أُعْدِمْتُ نوري، وأُعْدِمْتُ الذي نَسَبا!

– ٢ –

وأنتَ كُنتَ طلَبتَ النورَ حينَ سَعَتْ
كفّاكَ تَبني قُصُورَ العِزِّ وَالقبَبَا،

رفَعْتَ سَيفَ اللُقى فولاذَ مقدرةٍ،
وكانَ غيرُكَ يَجلو سَيفَهُ خَشَبا!

حتى ٱستَكانَتْ قوافِي الشعرِ صاغِرةً
فَرُضْتَها، وعَصَت في غَيرِكَ القُضُبا.

وَضَمَّ حَرفُكَ – حرفًا في تعدُّدِهِ –
ما ضَمَّ ألفٌ سِواهُ مُطْلِعًا كَتَبا...

فالكونُ يَخشَعُ، والآفاقُ مصغِيةٌ،
والعُرْبُ تقطُفُ من آياتِكَ النُخَبَا،

والشمسُ تُشرقُ من بينِ الحروفِ، وقدْ
تَألَّقَتْ بمِدادِ الوحْيِ مُنسَكِبا،

والشمسُ وَجْهُكَ في أَعْلى تألُّقِهِ،
إنْ طأطأ الرأسَ، أحنى الرأسَ منتَصِبا.

يا أرزةَ العُرْبِ شاءَ الربُّ يغرِسُها
في مَنْبتِ النورِ أُمًّا نورُها وأَبا،

يا وِقْفةَ العِزّ في لبنانَ مَنْبِتُها
"قُدْموسُها" وَهَبَ التارِيخَ ما وَهَبا،

و"بِنْتُ يَفتاحَ" مِن أَغْراسِنَا ثَمَرٌ
أَطْعَمْتَ منهُ تراثَ الغَرْبِ والعرَبا،

و"رِندلى" ماسَةٌ شَعَّتْ نَضارَتُها
لِيُعلَنَ الشِّعْرُ، مِمّا صُغْتَهُ، حَسَبا...

قد صارَ حرفُكَ حَرْفَ الصِدْقِ مُؤْتَلِقًا،
وَأَجْمَلُ الشِعْرِ صِدْقًا كانَ، لا كَذِبا!

قَصيدةٌ أنتَ، صارَ السِحْرُ أَحْرُفَها،
وَالحُسْنُ قافيةً، وَالنَبْعُ ما نَضَبا...

لبنانُ وَحْيُكَ مُذْ عَلَّيْتَ رايتَهُ،
وبِتَّ فيهِ رَديفَ الأرزِ، والعَصَبا.

لبنانُ وَحْيُكَ: نَسْرٌ طارَ فِي كُتُبٍ
نَحْوَ النجومِ، وأسْنى أينَما ذَهَبا،

لُبنانُ صَخرَتُكَ الشَّمّاءُ قدْ رُفِعَتْ
إِلى العُلى، فَاصْطَفاها الخُلْدُ وَٱنتَسَبا.

قَطَفْتَهُ لَمْعَةً في الشِّعْرِ بارقةً،
وَطِرْتَ بالنورِ حتّى جُزْتَها الرُتَبا...

– ٣ –

يا شاعرَ المجدِ، صارَ المجدُ أغنيةً
أَيّامَ عافَ الرقابَ المجدُ وَٱنسَحَبا،

وَأَسْكَرَ العارُ مَنْ باعوا ضمائرَهمْ
لِكلِّ عَبدٍ خَصِيٍّ نَالَ مَا رَغِبَا،

وَٱستعذَبوا الذُلَّ: إنَّ الذلَّ شِيمتُهمْ،
وَأَبْعَدوا العِزَّ عَنْهُمْ حَيْثُما ٱقْتَرَبا...

إنَّ الشَوَامِخَ تَهوى النورَ قِمَّتُها،
وغائرَ الأرضِ يبقى، الدهرَ، مُحتَجِبا –

يا شاعرَ المجدِ، صارَ المجدُ أغنيةً
في فيكَ من مئةٍ، تُغوي بها الحُقَبَا...



فَرَشْتِ، يا زَحْلُ، في السَّهْلِ الذي اتَّسَعَتْ
مَواطِئُ الشمْسِ فيهِ الحُسْنَ والعَجَبا
وَانْداحَ سِحْرُكِ في الأَمْداءِ يَبْهُرُها
حَتّى انْتَهى الحُسْنُ في عَيْنَيْكِ وانْسَكَبا
وكانَ أَنَّ ذِراعَ الرَّبِّ قَدْ جَمَعَتْ
في بُقْعَةٍ مِن بِقاعِ الأَرْضِ ما خَلُبا...